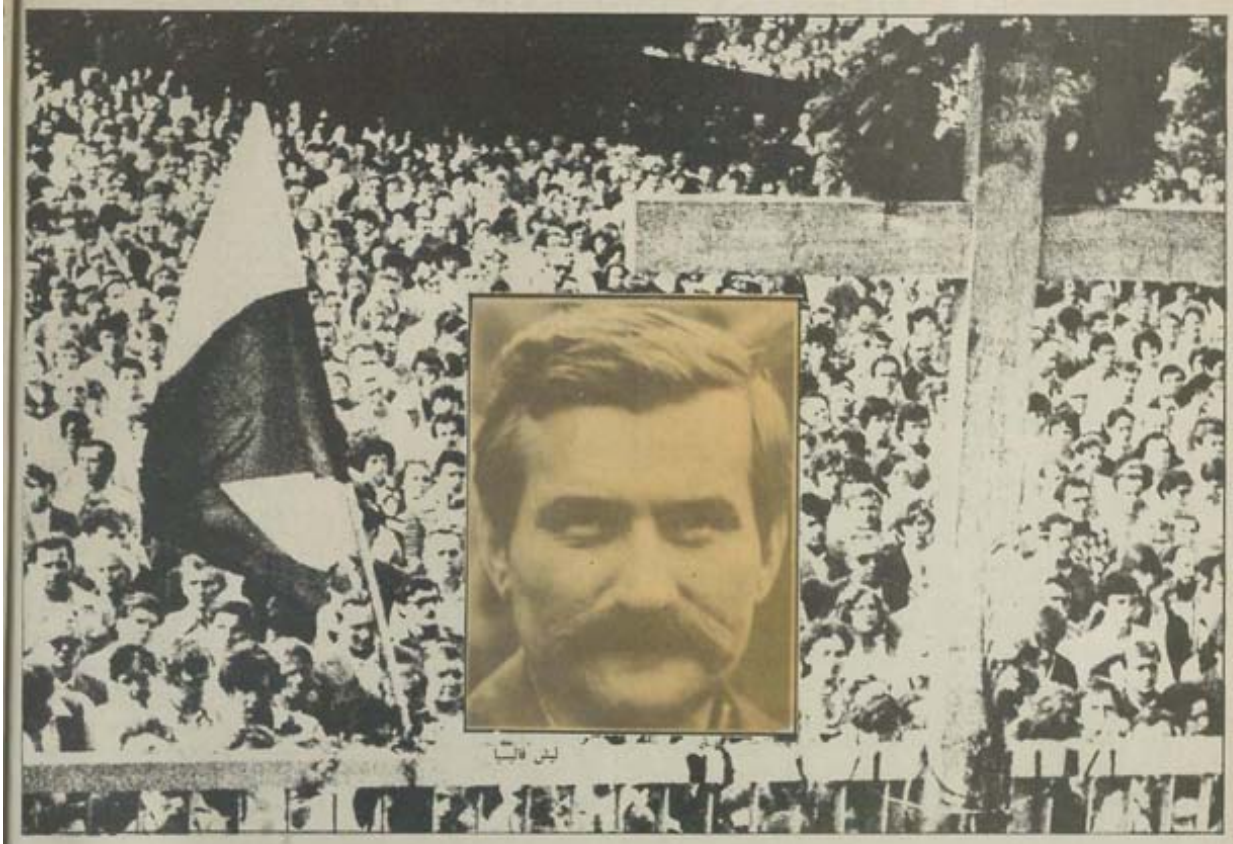

ليش فاليسا

الخبز والحرية أو الحديد والنار

عبد العظيم حماد

دخلت الأزمة البولندية أكثر أطوارها خطورة . . لم يعد السؤال هو : متى تتوصل حكومة وارسو مع نقابة التضامن العمالية المستقلة إلى صيغة دائمة للتعايش وانتشال اقتصاد بولندا من محنته القاتلة ؟ . . ولكن السؤال أصبح هو : هل اتخذ الكرملين قراره بالتدخل السوفيتي المسلح ؟ ومتى يحدث ذلك ؟ .

أما السبب الذى أدخل الأزمة فى هذا الطور فهو طريقة الاستجابة السوفيتية للنزاع الأخير بين الحكومة والعمال فى بولندا . فبعد أن سويت قضايا أزمة النص على الدور القائد للحزب الشيوعى البولندى فى ميثاق نقابة التضامن المستقلة عن طريق الاكتفاء - بإيعاز من الحكومة - بالنص على ذلك الدور للحزب فى ملحق للميثاق . فاجأ البوليس الحكومى عمال التضامن باقتحام مقر نقابتهم لمصادرة نسخة من وثيقة هامة سرقت من مكتب المدعى العام . وللقبض على سارقيها . ورغم عدم أهمية مضمون تلك الوثيقة - إذ أنها تحتوى على إرشادات قانونية حول كيفية معاملة المشتبهين بوليسيا - فإن البوليس اعتقل عاملين بتهمة السطو على مكتب المدعى العام .

وعلى الفور هددت التضامن بتنظيم إضراب عام جديد ما لم يطلق سراح العاملين المعتقلين . وسارع عمال السكك الحديدية والخدمات الطبية والنسيج وتعدين الفحم إلى الإضراب فعلا . ومع هذا التحرك العمالى الجديد تضامن الطلبة والمعلمون . وكان يوسع أى مراقب أن يفهم الرسالة التى أراد العمال توجيهها إلى الحكومة . وهى أنهم لن يقبلوا أية محاولة حكومية مستترة لإضعاف نقابتهم المستقلة . وللانتقاص من هيبتها تمهيدا لضربها أمام أعضائها . وللإنصاف تجدر الإشارة إلى أن إضراب عمال السكك الحديدية كانت له فى الأصل أسباب أخرى . فقد نظم احتجاجا على فرض نظام الأجور الذى سبق الاتفاق عليه بين الحكومة ونقابة عمال السكك الحديدية التابعة للحزب الشيوعى .

وكانت الاستجابة السوفيتية لهذه الأزمة الجديدة - التى أمكنت تسويتها فى النهاية - ذات شقين . الشق الأول عسكرى وتمثل فى حشد أكثر من ١٦ فرقة سوفيتية وحليفة على حدود بولندا فى أوضاع هجومية . والشق الثانى دعائى وتمثل فى الترويج لفكرة أن الثورة المضادة على وشك أن تقضى على النظام الاشتراكى فى بولندا لاسقاطه بالقوة .

وسارعت وكالة تاس - بعد إضافة الفون

الأخضر طبعا – إلى اتهام عمال السكك الحديدية المضربين بأنهم يهددون بإضرابهم أمن بولندا القومي وأمن شقيقاتها الاشتراكيات ، وقالت تاس إن إضراب عمال النقل والمواصلات يعني في الحقيقة قطع خطوط الاتصال والإمداد عبر بولندا إلى حدود ألمانيا الشرقية خط الدفاع الاشتراكي الأول ضد الغرب الإمبريالي ، وتجعل المعلقة في هذا الاتهام السوفيتي في أن العمال المضربين يحبذون تطبيق الإضراب على خطوط النقل والاتصال ذات الصفة الاستراتيجية .

وتزيد من التسخين ، ورغم تسوية الأزمة في اليوم الثالث للإضراب الذي كان في الواقع عبارة عن التوقف عن العمل لمدة ساعتين كل يوم ، أذاعت تاس لأول مرة انتقادا علنيا لسياسة الحكومة البولندية . فاتهمت الوكالة السوفيتية حكومة ستانيلاف كانيا ، على لسان من أسمتهم بأعضاء النقابات الرسمية ، بأنها تحابي العمال المتشددين إلى حد التدليل .

وبعد أيام صعدت تاس اتهاماتها إلى مستوى أعلى وأكثر خطورة ، ففي منتصف الأسبوع الماضي مضت الوكالة إلى الإيحاء بأن بولندا على شفا الحرب الأهلية . فأعلنت رسميا أن عمال « التضامن » الذين وصفتهم بأنهم « القوى المعادية للثورة » بدأوا في شن محاجمة عنيفة وعلنية ضد المنظمات الرسمية ، وأوردت سلسلة من الاتهامات المحددة ، فقالت إن اللجان المحلية التابعة للتضامن بدأت حملة منظمة ومدبرة لاستبدال موظفي النقابات الرسمية بآخرين من بين أعضائها ، وإن المديرين في بعض المصانع طردوا من مناصبهم ونزع سلاح قوات الأمن الحكومية في عدة أنحاء متفرقة من المناطق الصناعية .

وقالت تاس إن العمال البولنديين الذين أعربوا علنا عن معارضتهم لنقابة التضامن قد احتطفوا ولم يعثر لهم على أثر .

وقد بلغ زعماء « التضامن » هذه الاتهامات بكل ما وسعهم من قوة ، وكذبتها أيضا البيانات الحكومية الرسمية حتى كتابة هذه السطور ، لذا فإن قصد الاحتلاق وراء هذه الأنباء مؤكد . وليس ما يهمنا هنا هو اتهام الإعلام السوفيتي بخلق الأكاذيب ولكن الذي يهمنا هو دلالة هذه الحطوة . ولن تكون هذه الدلالة سوى التمهيد الإعلامي – محليا ودوليا – للتدخل المسلح في بولندا حينما يقرر قادة الكرملين أن ساعته قد حانت

تدخل أو لا تدخل

الواقع أنه حتى ما قبل نشوب الأزمة الأخيرة في وارسو بساعات ، كان الراجح في الساحة الدولية أن السوفيت هم أقرب بكثير إلى اختيار عدم التدخل من اختيار التدخل . فقد قيل – وصدق ذلك على نطاق واسع – إن كانيا زعيم الحزب الشيوعي البولندي أقنع الزعماء السوفيت بأنه قادر في النهاية على تسوية الوضع داخليا دون خسائر كبيرة من جانب النظام

ورغم أن الكرملين في حقيقة الأمر يرفض فكرة النقابة العمالية المستقلة في الدولة الشيوعية ، فإنه كان أميل إلى قبول رأي كانيا مادامت قبضة الحزب ستظل قوية على الحياة السياسية البولندية ، ويعود هذا الموقف – الذي قد تثبت الأيام اللاحقة أنه كان موقفا قديما – إلى أسباب كثيرة ، منها ما هو دولي ومنها ما هو خاص بالعلاقات الروسية البولندية ومنها ما هو سوفيتي محض .

فعلى الصعيد الدولي يدرك السوفيت قبل غيرهم أن غزوهم المسلح لبولندا وإقدامهم على وأد التطورات الليبرالية في تلك الدولة ، سيجهز نهائيا على الوفاق بين الشرق والغرب لاسيما أن الرئيس الأمريكي المنتخب كان ومازال يبشر بسياسة متشددة نحو السوفيت . وهذا يعني فتح باب سباق التسلح ذي التكاليف الباهظة على مصراعيه ، في وقت يعاني فيه السوفيت من مصاعب اقتصادية خطيرة اعترف بها تقرير برجنيف علنا أمام الاجتماع الأخير للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي . كما أنه يعني مزيدا من فرض القيود على التبادل التجاري بين الشرق والغرب ، وفي هذه الحالة سيكون السوفيت هم الخاسر الأكبر . كذلك فإن غزو بولندا ، بينما لاتزال ذكريات غزو أفغانستان ماثلة في الأذهان ، سيظهر الاتحاد السوفيتي في نظر دوائر كثيرة – لاسيما في العالم الثالث والقوى الاشتراكية غير الحاكمة – بمظهر القوة التي تعربد كيفما شاءت في الساحة الدولية دون اكتراث بإرادة الشعوب التي طالما تباهى السوفيت باحترامها .

وفيما يتصل بالعلاقات مع بولندا يخشى السوفيت أن يسفر الغزو المسلح عن إلهاب الشعور القومي البولندي ضد روسيا العدو التاريخي للبولنديين (إلى جانب ألمانيا) وهذا الشعور لم يخمد رغم أنه تحتسي وراء لافتة الأممية البروليتارية . بالإضافة إلى ذلك ونتيجة له يرجح السوفيت أنهم سيلقون مقاومة لا يستهان بها في بولندا ، ولا يستبعد أن يشارك فيها الجيش ذاته . يضاعف من خطورة هذا الافتراض شبه المؤكد أن الانشقاق الخانق في بولندا ضارب بجذوره بتعمق في كافة طبقات وفئات الشعب البولندي عمالا وفلاحين وجنودا وضباطا ومثقفين ، وهنا

ستانيسلاف كانيا زعيم الحزب الشيوعي يريد الإصلاح .. ولكن خليفته جاهز

يختلف الوضع عما كان عليه ربيع براج ١٩٦٨ ، حين كان الانشقاق الذي استجلب الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا مقصورا على بعض شرائح فئة المثقفين .

أما سوفيتيا فإن الغزو المسلح لبولندا سيكلف لاقتصاد السوفيتي الكثير في وقت يستشرف التدخل في أفغانستان جزءا لا يستهان به من الموارد السوفيتية . ولكن الأخطر من ذلك – لأن القادة السوفيت لا يقيمون وزنا للاعتبارات الاقتصادية مادام الشعب لا يستطيع محاسبتهم على معاناته – هو أن التدخل المسلح في بولندا قد يعرض الأمن السوفيتي ذاته للخطر ، فالخبراء يقدرون أن السوفيت سوف يحتاجون إلى ثلاثين فرقة مسلحة لكي يكون التدخل العسكري في بولندا فعالا وسريع النتائج ، وهذا يعني سحب قوات سوفيتية من ألمانيا الشرقية ومن الحدود الصينية السوفيتية . وكلا الأمرين ينطويان على مخاطر أمنية بالغة .

لكل تلك الأسباب ، ولأن الوضع في بولندا يوحي بأن طرفي النزاع ، الحكومة والعمال ، حريصان على تجنب المواجهة ، كان الاعتقاد السائد هو أن احتواء الأزمة في حدودها الراهنة أمر في مصلحة جميع الأطراف ومنها الغرب ، وبالتالي كان التدخل السوفيتي مستبعد الحدوث .

والحق أن العمال المنشقين كانوا ومازالوا واعين تماما بخطورة استثارة رد فعل سوفيتي عنيف لأن ذلك سيعني بالنسبة لهم خسارة كل شيء . وفي أكثر من مناسبة أكد ليش فاليسا زعيم نقابة التضامن أنه لا هو ولا زملاءه يستهدفون إسقاط هذه الحكومة أو أية حكومة أخرى ، كما أن العمال حتى هذه اللحظة قصروا إضراباتهم ومظاهراتهم على مواقع عملهم ، وهم جميعا متفقون على عدم الخروج إلى الشوارع مهما كانت الضغوط والإغراءات .

وفي اعتقادنا أن الغرب يدرك بدوره أن تصعيد الموقف إلى حد التدخل السوفيتي ليس أمرا مرغوبا فيه ، ففي هذه الحالة ستضرب هذه الاتجاهات الليبرالية التي يتوقع أن تكون لها آثار هامة على سائر مجتمعات أوروبا الشرقية بلا هوادة .

جان تراسيمونتس .. زعيم الفلاحين البولنديين

والغرب الذي يؤمن تعمداً التطور التدريجي يرى أن ما حدث مؤخرا في بولندا ليس إلا البداية التي سيكون لها ما بعدها . أي البداية التي ستقود إلى إقرار مبدأ التعددية السياسية داخل بولندا ومنها إلى أوروبا الشرقية كلها . ومن ثم فسيكون من الخبث استفزاز السوفيت إلى حد التدخل في وقت تقر فيه جميع العواصم الغربية بأنها لن تستطيع أكثر من شجب الغزو السوفيتي وفرض عقوبات اقتصادية وسياسية على السوفيت مهما بلغت ضراوتها فلن تصل إلى حد الرد المسلح لأن ذلك يعني بكل بساطة الحرب العالمية الثالثة أي « الحرب الأخيرة على الكرة الأرضية » .

وحتى هذه اللحظة حتى الغرب الرأسمالي الكثير من ثمار الشجرة البولندية . ويكفي مثلا أنه بعد الصراع العلني بين العمال وبين حكومة العمال الشيوعية في دولة حكمها الشيوعيون منذ أكثر من ثلاثين عاما حول القوت الضروري ، أصبح احتمال فوز أي حزب شيوعي في أوروبا الغربية في الانتخابات من قبيل الأحلام في المستقبل المنظور على الأقل . وكم تكون الصورة مبهجة للغرب إذا ما قورنت بما كانت تقوله الصحف الغربية ذاتها منذ خمس سنوات فقط من أن قيام حكومات شيوعية في إيطاليا وفرنسا أصبح مسألة وقت فقط

نحو التدخل

كان ذلك هو التحليل الذي ساد حتى ما قبل نشوب الأزمة الأخيرة ، وعلى سبيل المثال نقلت مجلة نيوزويك الأمريكية تصريحا للسناتور تشارلز بيرسي الرئيس الجديد للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي – عشية عودته من زيارة هامة لموسكو التقى خلالها بكل من الرئيس بريجنيف ووزير خارجيته جروميكو – قال فيه إنه وجد السوفيت توافقين للعمل مع حكومة الرئيس المنتخب ريجان من أجل الحد من التسلح ، وكذلك « فإنني أعتقد أنهم لن يذهبوا إلى بولندا . وسيكون ذلك في الواقع إجراء يائسا وملاذا أخيرا » .

ومع ما كان ينطوي عليه تصريح بيرسي من تفاؤل ، فإنه أيضا يعبر عن بديهية من بديهيات السياسة الدولية وهي أن من حق السوفيت أن يتدخلوا عسكريا في بولندا عندما يشعرون باليأس وسيكون ذلك هو الإجراء الذي لا محيص عنه في نظر السوفيت .

وبطبيعة الحال ليس هنا في مجال مناقشة فلسفية وأخلاقية حول الأساس الذي يستمد منه السوفيت هذا الحق ، والأساس الذي يجعل أطراف اللعبة الدولية الأخرين يسلمون فهم به . وقصارى ما يمكن قوله . أن إرادة الشعوب هنا هي آخر ما يعبأ به ، وأن السوفيت يستمدون هذا الحق من منطق « الأخ الأكبر » للأسرة الاشتراكية ، ويجد هذا الحق مبرره السياسي في مبدأ بريجنيف القاضي بأن « الوحدة الأممية

الديمقراطية ، تجب وتعلو على السيادة القومية إذا تعرضت الاشتراكية فى أى من دول المنظومة الاشتراكية لخطر داهم من قوى الثورة المضادة فى الداخل أو الخارج . أما الميثاق الفانونى فإنه يأتى من ميثاق حلف وارسو الذى يجعل أمن الدول الاشتراكية مسئولية مشتركة بين جميع أعضائه ، وأما السوابق المتوافرة ، وعلى الجميع فقط أن يعودوا بأذهانهم قليلا إلى الوراء فيتذكروا ما جرى عام ١٩٦٨ فى تشيكوسلوفاكيا وما جرى قبله عام ١٩٥٦ فى المجر .

إذن يصبح السؤال هو : متى يشعر قادة الكرملين باليأس ويقررون اللجوء إلى الملاذ الأخير الذى تحدث عنه السناتور الأمريكى ؟

إذا كان من حقنا أن نجيب عن هذا السؤال – رغم أن القيادة السوفيتية هى وحدها دون البشر أجمعين التى تملك الإجابة عنه – فسنقول إن السوفيت سيتدخلون حينما إذا شعروا بإرخاء قبضة الحزب الشيوعى على الأمور فى بولندا ، فالأمر عندئذ سيصبح جد خطير لا يحال فيه للهوادة حتى لو كان الثمن هو العودة إلى الحرب الباردة واستئناف الاقتصاد السوفيتى إلى آخر روبية أو إلى آخر رغيف فى يد فلاح أو عامل يتضور جوعا فى أصقاع سيبريا . ولم لا ؟ أليس خروج الأمور من يد الحزب الشيوعى البولندى يعنى « ارتداد » أول دولة عن الشيوعية بفعل ثورة شعبية يقودها العمال ؟ ومن يضمن ألا ينفرط عقد المنظومة الاشتراكية بأسرها بعد ذلك ؟ ومن ذا الذى يضمن ألا تمتد النار إلى الجسم السوفيتى .

إن معنى خروج بولندا من دائرة الاشتراكية لن يكون أقل من الحكم نهائيا دون استئناف أو مراجعة ، بإفلاس التطبيق الليبى للماركسية ، دون أن يعنى ذلك إفلاس قضية الاشتراكية بوصفها هدفا سياسيا يرمى إلى تحرير الإنسان من القهر المادى والسياسى . وهذا مالن يسمح به السوفيت أبدا تحت أى ظرف من الظروف حتى لو كان ذلك الظرف هو الحرب العالمية الثالثة .

بناء على ذلك يصبح السؤال الأكثر دقة هو : متى يشعر السوفيت أن الأمور فى بولندا على وشك الخروج من يد الحزب الشيوعى ؟

يبدو أن السوفيت بدأوا يشعرون بذلك بالفعل ، وليست الإجراءات العسكرية والتطورات الدعائية التى أشرنا إليها فى بداية هذا الموضوع سوى شواهد على ذلك الشعور . إذ انه بالمقارنة بما حدث فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ تصبح الأحداث الحالية فى بولندا أكثر خطورة (من وجهة النظر السوفيتية طبعا) .

فعلى الجانب السوفيتى من الحدود أصبح ينظر إلى ليش فاليسا زعيم العمال المنشقين بوصفه أكثر من منشق .. أى بوصفه زعيما سياسيا للثورة المضادة ، ومعروف أن السوفيت وغيرهم من الشيوعيين المؤمنين بالحكم الشمولى لايقبلون بتاتا فكرة وجود قيادتين سياسيتين فى الدولة الشيوعية لأن ذلك ببساطة مدخل نحو التعددية ومن ثم الليبرالية ومن ثم فإن السوفيت لايقبلون ، وليس فى نيتهم أن يقبلوا ، استمرار فاليسا فى تحدى قيادة الحزب الشيوعى بأحاديثه المتواصلة عن الحركة الكاثوليكية وعن الأثر العظيم للكنيسة فى تكوين الأمة البولندية وفى تكوينه شخصيا فهذا

الرئيس السوفيتى برجنيف يستقبل السناتور الأمريكى تشارلزبرس خلال زيارته الأخيرة لموسكو .. بيرس قال بعد هذا الاستقبال إن السوفيت لن يذهبوا إلى بولندا .. إلا كملاذ أخير .

يسارع مساعده الذى يرافقه فى كل جولاته إلى نشر صورة للمسيح مصلوبا وراء ظهره فى كل اجتماع جماهيرى .

ويشعر السوفيت بالخطر من بزوغ الروح القومية البولندية مرة أخرى بهذه الدرجة من القوة ، وتشير هذه الروح بصورة واضحة بين جميع طبقات الشعب البولندى لاسيما الفلاحين ، وقد بدأ الطلبة والأساتذة الليبراليون فى الجامعات يتحدثون علنا لأول مرة فى الأسبوع الماضى عن « بولندا الجديدة » بولندا الحرية والأمل ، وعقدت فى جامعة وارسو فى هذا الأسبوع نفسه أول ندوة من نوعها منذ الحكم الشيوعى حول « الفترات المشبة من تاريخ بولندا » .

وبين الفلاحين انتشرت دعوة قوية لتشكيل اتحاد مستقل للمزارعين ، وينتقل جان اراسيموتش زعيم الفلاحين بدوره بين القوى بحرية ليدعو إلى الاتحاد المستقل مؤكدا أن الفرصة قد حانت أخيرا أمام فلاحى القطاع الخاص فى بولندا – بشكلون ٨٠٪ من الفلاحين – ليقولوا « لا » للاستغلال الفادح لهم من الحكومة والحزب ، والواقع أن الفلاحين هم أكثر طبقات الشعب فى بولندا معاناة من مساوئ الحكم ، ويكفى مثلا أن نعرف أن الحكومة تفرض أسعارا احتكارية عند شراء منتجاتهم تقل أحيانا بنسبة ١٠٠٪ عن التكلفة الفعلية لها ، وقد يفيد أيضا هنا أن نعرف أنه فى دولة اشتراكية يشترى الفلاحون احتياجاتهم بأسعار أعلى كثيرا من التى يشترى بها رجال الحزب والحكومة بترخيصات خاصة صادرة من الحزب من متاجر خاصة بهم ، ويضاف إلى كل ماتقدم أن الحكومة تنحاز بشكل صارخ إلى المزارع الحكومية فى منح تسهيلات الإنتاج والتسويق مثل الآلات والسماد .

ومن التطورات الهامة التى حدثت الأسبوع الماضى وأشعرت السوفيت بالخطر فادت إلى تلك الاستجابة الملوحة باستخدام العنف .. إقدام الصحافة والإذاعة والتليفزيون فى بولندا على توجيه انتقادات علنية وحادة لسياسات الحزب وعلى التشهير بأخطاء الحزب السابقة فى المجال الاقتصادى على وجه الخصوص .

غير أن أخطر مأتزعج السوفيت ومهد – فى اعتقادى – للتصعيد الحالى هو احتدام الصراع داخل الحزب الشيوعى البولندى ذاته إلى حد يثير بإضعافه ومن ثم إضعاف سيطرته على الأمور ، ويدور هذا الصراع بين جناح يتزعمه كانيا زعيم الحزب ذاته وهو الجناح الذى يطالب بالاعتدال والمرونة مع العمال المنشقين وبالاعتراف بأخطاء الماضى والمضى قدما فى سياسة إصلاحية لاتعرف الخجل ، ويتهم زعماء هذا الجناح أعضاء الجناح الآخر – الذى يطالب بالتشدد فى مواجهة العمال إلى حد استدعاء الجيش للتدخل أو اعتبار العمال تمثابة مجندين فى القوات المسلحة فى ظل نظام للطوارئ لتسهل محاكمتهم – بأنهم يريدون الاحتفاظ بامتيازاتهم أو على حد التعبيرالرسمى ، تعاطف القراء الآلية وسياراتهم الرسيدس الفارهة ، ويحمل الصراع من داخل الحزب فى أكثر من موجة تظهير للعناصر التى يعتقد كانيا أنها تناوئه ، وفى هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن المرشح خلافة كانيا فى حالة تدخل السوفيت عسكريا هو ستيفان أورزوبسكى أكبر خبراء الحزب الاقتصاديين .. كانت تلك هى التطورات التى بدا أنها أشعرت السوفيت بالاقتراب إفلات الزمام من يد القيادة الشيوعية فى بولندا ، فسارعوا إلى حشد القوات ووضع خطط الغزو ، وعليه أصبح التدخل المسلح فى بولندا كالقدر المحتق لايعرف أحد متى يقع رغم أنه يعرف أنه واقع لامحالة إذا أفلت الموقف ولو بدون قصد من الأطراف المحلين فى بولندا .

الغزو ليس حلا

على أية حال سواء تدخل السوفيت عسكريا أو لم يتدخلوا فإن الوضع فى بولندا أخطر بكثير من أن يكون حله هو التدخل العسكرى الأجنبى أو عدمه .

وقد لايكون مناسبا هنا أن نرهق القارئ بإحصاءات ومقارنات اقتصادية دقيقة ، ولكن الحقائق العامة التى لايجادل فيها أحد تؤكد أن بولندا دولة تتوافر لها الموارد الطبيعية والطاقة الصناعية والقوى العاملة المدربة التى تمكنها من أن تصبح دولة غنية إلى حد إفراض الآخرين .

ولكن فى الوقت نفسه أسفرت أخطاء الشيوعيين المتوالية عن نقص خطير فى الإنتاج فى كافة فروعه إلى حد أدخل الأزمة الاقتصادية إلى كل بيت .. وأصبح الحصول على القوت مشكلة رئيسية فى حياة كل بولندى .

فكأن طائر الاشتراكية الذى طالما حدثونا عن أنه يحلق محلقين هما الكفاية فى الإنتاج والعدالة فى التوزيع قد سقط مذبوحا بسكين الاشتراكيين أنفسهم ، فلا إنتاج ولاعدالة فى التوزيع .. على نحو ما رأينا فى تصريحات زعماء العمال والفلاحين المنشقين .. وعلى نحو ماأكده زعماء الجناح المعتدل فى الحزب الشيوعى ذاته .

وعلى الجانب الآخر فإن ارتباط بولندا الثقافى بالغرب ، والروح القومية المتوهجة لدى البولنديين وقوة الكنيسة الكاثوليكية الماثلة فيها .. كل ذلك يتناقض كلية مع المفهوم الشمولى للحكم الذى يتبناه الشيوعيون ، ومن ثم فإن حدا أدنى من الحرية السياسية هو أمر ضرورى ، وإلا فإن استقرار الأمور فى بولندا سيكون دائما عرضة للقلاقل .

فإذا تذكرنا أن الطلقات النقدية قد تكون فى مرحلة من المراحل على استعداد للتضحية بالحرية فى سبيل الخبز .. وإذا تذكرنا أن النظام الشيوعى فى بولندا صادر الحرية .. وهاهو ذا أخيرا يفشل فى توفير الخبز أى فى ثمن سداد الحرية .. فأية شرعية تكون لمثل هذا النظام فى نظر الشعب ؟ ؟

وبطبيعة الحال فإن الشعوب تتمنى أن تحصل على الخبز والحرية معا .. والنظام الذى يستطيع حل هذه المعادلة هو النظام الأمثل من وجهة نظر الشعوب .. ومن ثم فإن الغزو السوفيتى لن يوفر للبولنديين لا الخبز ولا الحرية .. لأنه فى الواقع سيحدث فقط خوفا من الحرية .

لذلك فان الحل الأمثل للأزمة البولندية هو تمكين النظام القائم حاليا فى بولندا من اجتياز أزمته الاقتصادية الحالية بطريقة لاتجعل الطبقات الشعبية هى المضحية .. وعلى السوفيت أن يتقدموا الآخرين فى توفير المعونات اللازمة لبولندا .. وعندئذ قد يجد الغرب من مصالحه أن يسارع هو الآخر إلى نجدة الشعب البولندى .

لاسيما أن اقتصار السوفيت على التهديد بالتدخل وطول قائمة المديونية البولندية للعالم الرأسمالى قد يجعلان الحكومات الغربية تتردد طويلا قبل تقديم العون لحكومة وارسو .

مرة أخرى نقول إن البولنديين يريدون الخبز والحرية .. ولن ينجح الحديد والنار فى إطعام الأفواه الخاوية .. كما أن الأخوة الاشتراكية لن تغنى فتيلا أمام ضربة شرسة تعيد إلى الأذهان ماضى العداوة المريرة بين الشعبين الروسى والبولندى .